١٩- المُراجِع الأحمَق

الصورُ التي أتذكَّرُها عن المُراجعينَ كثيرةٌ، والمواقفُ مُتنوعةٌ، فالنَّاسُ أشكالٌ، والقادمونَ أجناسٌ، والزائرونَ كُلَّ يَوم تتنوَّعُ حاجاتُهم، وتتعدَّدُ ثقافاتُهم، وتختلفُ أساليبُهم في القَولِ والمُطالبةِ، وفي الحِوارِ والمناقشةِ.

وعلَى المَسؤول أنْ يتحمَّلَ ويصبرَ، ويلزمُه أن يحلُمَ ويتأنَّى، ويجبُ علَيه أن يسمعَ منهُم، وأنْ يقابلَهم، وأن لا يجمعَ سَوْأَتَين، فظاظةَ استقبَال، وقسوةَ قَول، وفوقَ ذلك عدمَ استجَابة للحاجَة. وكما قالَ المتنبِّي: (فليُسْعِدِ النطقُ إنْ لَم يُسْعِدِ الحالُ).

ومن الصُّور التي أتذكَّرُها أنَّه قَدمَ ذاتَ يَوم إلى مَكتَبي في إدارَة التَّعليم بالريَاض شخصٌ لَه معاملةٌ في الإدارَة، وطلبَ توجيهَ القسمِ المختصِّ بإنهَاء الأمْر وَفْقَ رَأيه وحَسْبَ رغبَته.

وقَد شرحتُ على استدعَائه بطلَب المُفاهَمة معَ رَئيس ذلكَ القسْم لأستجليَ الأمرَ، وخرجَ الرجلُ، ثُم عادَ بعدَ سَاعة، وقسَا في القَول علَى رَئيسِ ذاك القسْم، وهدَّأتُه وطلبتُ منه الانتظارَ والمراجعةَ بعدَ صَلاةِ الظُّهر، أو في الغَدِ إنْ شاءَ اللهُ.

وبعدَ الصَّلاة جاءَ إلى المكتَب، وجلسَ معَ المراجعينَ، وقلتُ لَه: لقَد علمتُ أنَّكَ تطلبُ من

الإدارَة استـئـجـارَ حَافلَـتك، وهَذا لا بُدَّ لَه من منافسَـة، وقَد أخبَـرني القسمُ المختصُّ أنَّ غـيرَك أقلُّ سعـراً منكَ، وبهذَا لا يمكُن تعـميدُك؛ فـهذَا هُو النظامُ.

لكنَّ قَـولي لَم يُعـجبْـه، ووقفَ، وقـالَ: لماذَا تبتسمُ وأنتَ تُحَدِّثُني؟

قلتُ لَه: البـسـمـةُ خـيـرٌ من القَـسـوةِ، ومن المَعروف أنْ تَلقَى أخَاك بوَجْه حَسن.

قالَ وقَد ولَّى، ووقفَ قُـربَ البَاب، واستدارَ نَحـوي: اسـمعْ، أسـألُ اللهَ أنْ لا يوفِّـقَك. فلَم أُجِبْه؛ فقَد تذكَّرتُ قولَ الشاعرِ:

إذَا نَطَقَ السَّفيهُ فلا تُجبْهُ

فخَيرٌ من إجَابتِه السُّكوتُ

ولكنَّه غـضبَ، ورفعَ صـوتَه، وعـادَ حتَّى وصلَ قُربَ الطَّاولة، وطلبَ أن أُجيبَه، فقلتُ لَه بكلِّ هُدوءٍ: أسألُ اللهَ أنْ يوفِّقَكَ وأنْ يَهديَكَ.

قالَ: أسألُ اللهَ أنْ لا يَجزيَك خَيراً. رُدَّ عليَّ. قلتُ لَه: أسـألُ اللهَ لكَ الخـيرَ والتـوفيقَ، وهيَّـا توكَّلْ علَى اللَّه، واترُك الجِدالَ، ودَعْنا نعملْ.

وكـانَ حـاضراً فـي المكتَب بعضُ المُراجـعينَ فغضـبُوا، وانبَرَى أحدُهم مُجـادلاً إيَّاه، وما كادَ ذلكَ المُراجعُ الآخَـرُ يتكلَّـمُ ويقـولُ لَه: اتَّقِ اللهَ

يارجلُ، وتأدَّبْ حتَّى ثارَتْ ثائرتُه، وقال لَه: اسكُتْ. ونشبَ بينَهما جدالٌ وخصامٌ كادَ أنْ يكونَ عراكاً ونزالاً، ولكنِّي رجوتُ الحاضرينَ الهُدوءَ، وتَركَه، فالأمرُ يخصُّني، ثُم إنَّ الرجلَ طلبَ الجوابَ، وأنا أجبتُه.

وبعدَ أن هَدَّأتُ الحالَ، وخرجَ المسكينُ قالَ أحدُ الحُضور: يا عبدَ العَزيز، لا بُدَّ أنْ يتأدَّبَ هذَا الجاهلُ، وعَليه أنْ يتعلَّمَ. وأنتُم ـ رجالَ التربيَة ـ رَوِّضُوا هذَا، وعلِّموا ذاكَ. فقلتُ لَه: إنَّ الرجلَ شبَّ عَن الطَّوق، وإنَّ المسكينَ عَلاه الشيبُ، ومَاذا يُجدي تعليمُه؟! وكيفَ يتمُّ توجيهُه والحماقةُ أعمَته، والسذاجةُ أضلَّته؟! ثُم

أمَا سمعتَ قولَ الشَّاعر:

أترُوضُ عِرسَكَ بعدَ مَا كبرتْ

ومنَ العنَاءِ رياضَةُ الهَرمِ

ويَقيني أنَّه سوفَ يندمُ حينَ يثوبُ إلى رُشده، وأجزمُ أنَّه سوفَ يتألَّمُ حينَ يهدأُ غضبُه.

وبعدَ أنْ ذهبَ الرجلُ بتُّ أفكِّرُ في أمْره فقَد خَشيتُ أنْ يغلبَني الهَوَى؛ فالنفسُ ضعيفةٌ، وخفْتُ أنْ يكونَ هذَا الرجلُ مَظلوماً، وأنَّ في الأمْر شيئاً، فربَّمَا أنَّ هذَا التصرُّفَ منه عَن ضَعف وخَوَر، أو عَن أسًى ويَأس، ولهذَا طلبتُ الأوراقَ كاملةً، ونظرتُ فيهَا، وقرأتُها ورقةً

ورقـةً.. وأدركتُ أنَّ المسكينَ كـانتْ لَه حـافلةٌ تُستأجَرُ منه منذُ سَنوات، وفي هذَا العَام نافَسه مـواطنٌ آخـرُ، حـالَتُـه أيسَـرُ، وناقـلاتُه أكـثـرُ، والفَـرق بينَهمـا يسـيرٌ، والسِّـعرُ بـينهُمـا قليلٌ، ولعلَّه خمسةُ ريالاتٍ.

وعندَ ذاكَ أشـفـقتُ عَليـه، ورثَيـتُ لحَـاله، واسـتدعَـيتُ ذلكَ المقاولَ، وأخـبـرتُه بالقصَّـة، ورجَـوتُه أنْ يـتنازلَ عَن الأمْـر لهــذَا المسكين. وكانَ شَهماً استجابَ لطَلبي، ولبَّى رجَائي.

وعـمَّدْنَا هذَا الغـاضبَ، وعندَ ذاكَ حمـدْتُ اللهَ أنَّنـي سـيطرتُ علَـى أعـصَـابـي، وملَكتُ مشَاعري، وترَفَّقْتُ بذلكَ الضَّعيفِ.

هذَا، وبعدَ أسبوعَين عادَ المسكينُ يُبدي أسَفه، ويُظهرُ ندمَه، فقلتُ لَه: احفظْ قولَه تَعالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾. كرِّرْها دَوماً، وردِّدها مراراً، وتذكَّرَ - هداكَ اللَّهُ - أنَّك ربُّما تقابلُ مَنْ يقسُو علَيك ويزجرُك.